متصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لصاحبه أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ابن الزيات) (ت 617هـ/1220م)

Sufis of the Central Maghreb through the book "Al-Tashouf ila Rijal al-Tasawwuf wa Akhbar Abi al-Abbas al-Sabti" by its author Abu Yaqub Yusuf bin Yahya al-Tadali (Ibn al-Zayyat) (d. 617 AH/1220 AD)

د. أنور بن عمارة *

تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي– جامعة الوادي

anouarhistory2019@gmail.com

ت تاريخ الاستلام: 2025/02/02 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03

ملخص: أسهمت المدرسة الصوفية في بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط الجزائر حاليا بصفة خاصة، في نشر تعاليم الإسلام المتزنة من خلال ما كانت تحمله من قيم إسلامية عالية، تسمو بالروح البشرية الى ذلك الرباط الروحي بين المخلوق وخالقه.

فحركة التصوف تعد معلما هاما في التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب الأوسط، حيث جاءت بعد تلك الأزمات التي تعرض لها المجتمع وتلك التناقضات بين الحاكم والمحكوم، فكان من الواضح أن يساهم المتصوفة في خلق ذلك التوازن المجتمعي والذي ظهر جليا على جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية خاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين. وفي ظل هذه المظاهر والسلوكيات المرفوضة أخلاقيا وفق تعاليم الإسلام الحنيف جعل من المجتمع الإسلامي عامة ومجتمع المغرب الإسلامي والأوسط خصوصا يبحث عن بديل يقودهم الى بر الأمان من أجل لملمة الأمور ومعالجتها فكان بذلك

*المؤلف المراسل

ظهور شريحة المتصوفة والزهاد الذين أعطوا بظهورهم للسلطة والجاه وحملوا على أكتافهم سياسة التطهير ومحاربة الآفات الاجتماعية.

تجسيدا لتلك الدعوة ظهرت الكتابات الصوفية التي مكنت لعلم التصوف وترجمت للعديد من المتصوفة، فكان من بينها كتاب (**التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لصاحبه أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي الذي عرف بابن الزيات المتوفى سنة 617 هـ/1220م**)، الذي يعد من أهم المصادر التي استطاعت الكشف عن مناقب كثير من الصلحاء والأولياء في المغرب الأوسط ،حيث ضم هذا المؤلف بين دفتيه أخبار ما يزيد عن مائتين وسبعة وسبعين من رجالات العلم والتصوف والكرامة استطعنا أن نرصد منهم ثلاثة عشرة من رجال التصوف في بلاد المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ المتصوفة؛ المغرب الاوسط؛ كتب التشوف؛ التادلي.

Abstract: The Sufi school in the Maghreb and the central Maghreb, Algeria in particular, contributed to spreading the balanced teachings of Islam through the high Islamic values it carried, which elevate the human spirit to that spiritual bond between the creature and its Creator. The Sufi movement is an important landmark in the social history of the central Maghreb, as it came after those crises that society was exposed to and those contradictions between the ruler and the ruled, so it was clear that the Sufis would contribute to creating that societal balance which appeared clearly on all economic, political and social levels, especially during the sixth and seventh centuries AH. In light of these manifestations and behaviors that are morally rejected according to the teachings of the true Islam, it made the Islamic society in general and the society of the Islamic Maghreb and the central Maghreb in particular search for an alternative that would lead them to safety in order to gather matters and address them, and thus the emergence of the segment of Sufis and ascetics who gave their backs to authority and prestige and carried on their shoulders the policy of purification and combating social ills. Embodying this call, Sufi writings emerged that enabled the science of Sufism and translated for many Sufis, including the book (Al-Tashouf ila Rijal al-Tasoufi wa Akhbar Abi al-Abbas al-Sabti by its author Abu Yaqub Yusuf bin Yahya al-Tadali, who was known as Ibn al-Zayyat,

who died in 617 AH/1220 AD), which is considered one of the most important sources that were able to reveal the virtues of many righteous people and saints in the central Maghreb, as this book included between its covers the news of more than two hundred and seventy-seven men of science, Sufism and dignity, of whom we were able to identify thirteen Sufi men in the countries of the central Maghreb.

key words: Sufism; Sufis; Central Maghreb; Book of Al-Tashouf; Al-Tadali

مقدّمة:

فرضت وحدة المجال والدين والثقافة والفكر الإسلامي في بلاد المغرب عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة التأثر بكل ما هو آت من بلاد المشرق أو بلاد الأندلس، خاصة مع ذلك التقاطع والحوار في عديد القضايا الدينية والفكرية كان من أبرزها ظاهرة التصوف والهروب من صخب الدنيا الى المناجاة الروحية الإلهية الهادئة، حيث يقول تعالى في سورة الشورى ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْاَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْاَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾ **سورة الشورى الآية 18.**

تطرقت عديد المصادر الصوفية والمناقبية وكتب الرحلات، الى ما زخرت به بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط التي كانت محطات استزادة وانطلاق بل جسور عبور الى المشرق أو بلاد الأندلس، من المتصوفة والصلحاء والأولياء، حتى منهم من وافته المنية بها ودفن في أراضيها أمثال ابو مدين شعيب الذي وارى جثمانه ارض العباد بتلمسان فكان من المصنفات السباقة في الحديث عن هؤلاء المتصوفة كتاب التشوف الى رجال التصوف للتادلي الذي رصد لنا العديد من متصوفة المغرب الأوسط الذين سيأتي الحديث عنهم لاحقا.

من خلال ما تقدم يتضح لنا بشكل تدريجي أهم المحاور التي تدور حولها إشكالية هذه الورقة البحثية والتي كانت:

الى أي مدى استطاع مؤلفوا المصنفات الصوفية حصر الأولياء والصلحاء في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة؟ ومن هم أهم متصوفة المغرب

الأوسط من خلال كتاب التشوف الى رجال التصوف خلال القرنين السادس والسابع الهجريين؟

فكان التعريف بالمصنف وصاحبه وأهم مصنفاته واهم المتصوفة والأولياء في بلاد المغرب الأوسط ومدارسهم وأفكارهم وذلك بالاعتماد على مجموعة من المصادر التاريخية التي لها علاقة بالمداخلة أهمها **كتاب التشوف الى رجال التصوف** للتادلي وغيرها من المصادر التي لها علاقة بالموضوع، معتمدين على عديد المناهج خاصة المنهج التاريخي والمقارن زيادة على المنهج الوصفي من أجل الوصول الى هدف المقال وحصر متصوفة بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الأول: التادلي (بن الزيات) وأهمية كتابه التشوف الى رجال التصوف

من المضان والمصادر التي حصرت لنا عدد لا بأس به من متصوفة بلاد المغرب الأوسط كان كتاب التشوف الذي اكتسى أهمية بالغة ظهرت من خلال تفرده بهذه الشخصيات.

المطلب الأول: التعريف بالتادلي

صاحب الكتاب هو أبو يعقوب يوسف بن يحي عيسى بن عبدا لرحمن المعروف بالزيات التادلي نسبة الى تادلة وكان فقيها وقاضيا،[1] وتذكر المصادر أنه صاحب أبو العباس السبتي ولقي أبا محمد بن سليمان بن داود واخذ العلم عن شيوخ كبار أمثال القزويلي الذي كان قطبا في علوم العربية وأبا القاسم بن بقي الأموي، كما تأثر التادلي بوالده الذي كان إمام مسجد ومؤذن فيذكر ويقول: ".. كان أبي جهير الصوت يسمع صوته على بعد فإذا جاء السحر ينشد في الصومعة.."

يا طويل الرقاد والغفلات ..... كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن دفعت اليه ..... لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه .... بذنوب عملت او حسنات[2]

ثم يبكي حتى لا يكاد يسمع صوته ويذكر تأثره بوالده الذي كان عطارا، فإذا رأى الناس اجتمعوا في السوق وتكاثروا عليه للشراء ورأى السوق معمورة بالناس يرسل الشبكة على حانوته ويقول: سبحان الله سوق الدنيا عامرة وسوق الآخرة خالية فيدع البيع ويدخل المسجد ويصلي ما قدر له، تأثر أيضا التادلي بعبد الواحد بن تومرت الذي توفي في معركة الأرك سنة 591 هـ حيث يقول " نزل بمحلتنا بالجانب الشرقي في حضرة مراكش إذ أبصرته نالتني منه هيبة ولم اقدر أن اكلمه "، وافته المنية قاضيا بركراكة او رجراجة في سنة 615 هـ/1220 م ونقل جثمانه الى مراكش بالمغرب الأقصى[3].

على الرغم من أن التادلي قد خالط العديد من المتصوفة إلا أنه بقي متمسكا بالاعتدال ويتضح ذلك من عدة أمور:

- لما ذكر أن كتابه خاليا من التجرد أحال الناس الى كتاب الإحياء للغزالي.
- الشعر الذي ذكره في مصنفه كله شعر زهد وتصوف وموعظة.
- اشتغل بالقضاء حتى توفي ولم يعطي الدنيا بظهره.
- معرفته الكبيرة لبلاد ركراكة[4] بالمغرب الأقصى التي عرف من خلالها الصلحاء والزهاد المتواجدين برابطاتها منذ أوائل الفتح الإسلامي.

المطلب الثاني: أهمية كتاب التشوف

تكمن أهمية كتاب التشوف في أنه من المصادر التراثية التي كشفت عن مناقب الكثير من المتصوفة، حيث ضم بين دفتيه حوالي مئتين وسبعة وسعين رجلا اغلبهم من رجالات العلم والمتصوفة، استطعنا أن نرصد منها ثلاثة عشرة من رجال التصوف في بلاد المغرب الأوسط كما أن معظم رواياته بالسند في فهارس كبار الأعلام مثال ذلك انه روى عن القاضي المعمر ابي العباس احمد بن الطالب المري القاسي عن مصطفى بن الكبابطي الجزائري(ت 1277هـ/1860م)[5] عن علي بن الأمير الجزائري عن ابن عبد الله التاودي عن سوده عن محمد بن سلام عن ...الى أن يصل الى عن التادلي المعروف بابن الزيات.

وقد اعتمد في كتاباته على عديد المصادر وكتب التراجم والمناقب منها كتاب جذوة المقتبس لصاحبه الحميدي ابو عبد الله محمد بن نصر (ت488 هـ/1095م) وكتاب الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لصاحبه العباس بن إبراهيم السملالي (ت 1378هـ)[6].

يمكن القول بأن مادة هذا الكتاب تضعنا أمام رصيد تاريخي مغر، يفسر لنا الإهتمام المتزايد بالكتاب من قبل الباحثين في التاريخ والمحققين، والكتاب الذي بين أيدينا محقق من قبل أحمد التوفيق **من** منشورات كلية الآداب بالرباط المغرب سلسلة بحوث ودراسات رقم 22 الطبعة الثانية سنة 1997مطبعة دار النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب.

كما يذكر التادلي أن السبب والقصد من تأليفه لكتاب التشوف" هو إعلام كثير ممن خفي عليهم من كان بحضرة مراكش من الصالحين وممن قدمها من أكابر الفضلاء "، وهنا يلاحظ أن التادلي كان يحمل قضية تتصل بإظهار مدينته بين المدن وإبراز صلاح مراكش[7]، وأن من أهم العناصر التي أدت الى تأليف كتاب التشوف منها هزيمة المسلمين في معركة العقاب سنة 609 هـ/1212 م[8] التي تعد منعطفا لتراجع المسلمين بالأندلس والتي تفصل عن معركة الأرك[9] سبعة عشرة عاما وهذه الهزيمة تؤسس لبداية الإنحطاط وتراجع المد الإسلامي والجمود الفكري[10].

- إن الجيل الذي عاش في مراكش في القرن السادس الهجري صار في بداية القرن السابع يشعر بتغير الأحوال وتبدلها.
- ظرفية سنة تأليف الكتاب في حد ذاتها سنة 617 هـ كانت سنة قحط وغلاء شديد بالمغرب وكان وقتئذ قد انتشر الجراد.
- كما أنه تأثر بمن سبقه في التأليف وشجعه على ذلك حيث يذكر بن الزيات في كتابه على أنه هناك تأليفا آخر مثل صلحاء ركراكة ولم يذكر مؤلفه.

المبحث الثاني: كتاب التشوف أبوابه ومضامينه

يعد كتاب التشوف مادة تاريخية ثرية خاصة في الجانب الاجتماعي والفكري والسياسي من تاريخ المغرب الإسلامي خاصة في تلك الظروف التي كانت تعيشها، قبل أن يذكر المؤلف مختلف الأعلام المتصوفة المترجم لهم، حيث خصص مقدمة أو مدخلا اهتم فيه بعلم الرجال المتصوفة ودراسة تلك المخطوطات وخزائن تواجدها وضم هذا المصنف سبعة أبواب نلخصها فيما يأتي:

أنطلق بن الزيات بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** ".[11]

تضمن الباب الأول: صفة الأولياء وعرفهم وذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ماهي صفة الأولياء في قول أبي بكر البزاز عن بن عباس انه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأولياء[12] فقال "الذين إذا رءوا ذكر الله "[13].وإنهم نالوا الولاية لا بصوم ولا بصلاة بل بسخاء الأنفس وصدق الحديث وسلامة الصدر.[14]

الباب الثاني: تكلم فيه على حفظ قلوب الأولياء وترك النكير عليهم ولخص ذلك في إن الإنسان ينكر مالم يحط به خبرا واسرد قصة الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام " أنك لن تستطيع معي صبرا" وذكر عدم معاداة الأولياء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ..."[15].

الباب الثالث: خصصه لمحبة الأولياء وذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف "[16] وان المرء مع من أحب وله ما اكتسب وذكر أن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي [17].

الباب الرابع: في زيارتهم ومجالستهم حيث لخص هذا الباب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن البزاز عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير فقال " من ذكركم بالله ورؤيته وزادكم في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة علمه".[18]

الباب الخامس: فكان في حسن الثناء ووضع القبول لهم في الأرض حيث ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم " توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار أو قال خياركم من شراركم قالوا بم يا رسول الله؟ قال بالثناء الحسن والثناء السيء أنتم شهداء الله بعضكم على بعض "[19] واخرج ابو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما من عبد إلا وله صيت في السماء فإن كان صيته في السماء حسنا وضع له في الأرض حسنا وان كان صيته في السماء سيئا وضع له في الأرض سيئا ".[20]

الباب السادس: تحدث فيه في إثبات أحوال الأولياء فالصالحين عادة تفرغهم للعبادة دون التعلق بحرف الدنيا ومثال ذلك أهل الصفة الذين كانوا اضياف الإسلام لا يأوون الى أهل أو مال أو أحد [21].

الباب السابع: كان الحديث فيه عن كرامات الأولياء وإثباتها بقوله إنها جائزة عقلا ومقبولة قطعا وقد قال بها إمام المتكلمين القاضي ابو بكر بن الطيب " إن المعجزات تختص الأنبياء والكرامات تختص الأولياء في حين قال الجويني عندنا تجويز خوارق العادات وقال اعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة للنبي إذا كان الولي في معاملاته تابعا للنبي حيث لا تكون الكرامة قادحة في المعجزة وقال إن الكرامة لأهل اليقين[22].

وأخيرا لقد تطرق في فصل اسرد فيه قصة سيدنا الخضر مع نبي الله موسى عليه السلام واسرد فصلا جامع لأنواع الكرامات.[23]

ثم بدا في سرد الأولياء الصالحين والمتصوفة وكان منهم متصوفة المغرب الأوسط موضوع بحثنا، كما افرد أخيرا بابا كاملا لإخبار أبي العباس السبتي في التعريف به ومنهجه ومذهبه ثم انهي كتابه بتلك الفهارس للكتاب. [24]

المبحث الثالث: متصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب التشوف وأهم مدارسهم بين القرن السادس والسابع الهجريين

المطلب الأول: مدارس التصوف في المغرب الأوسط

الفرع الأول: مدرسة التصوف الفلسفي

يتميز صوفيتها بالالتزام بالقران الكريم والسنة النبوية وأخلاق السلف الصالح، والخنوع الى أسلوب الصيام والقيام والتهجد في الرباطات والمساجد والزوايا والكهوف والمغاور والتقشف في الملبس والمأكل والتجرد من حب الدنيا وملذاتها، وقد تباينوا في تكوينهم الفكري والفقهي[25]،ومن أعمدة هذه المدرسة في القرن السادس الهجري بالمغرب الأوسط والذين ذكرهم بن الزيات في كتابه التشوف، أبو محمد عبد السلام التونسي ت 512 هـ/1118 م كان عارفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا سليط اللسان لا يخاف في الله لومة لائم مجاهدا لنفسه يعيش من خشاش الأرض يأكل الشعير ولحم السلاحف إذا أشتهى اللحم. [26]، وكان أيضا أبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي (ت 537هـ/1142 م) الذي كان زاهدا قاهرا لنفسه رغم أنه كان أهل جاه ومال عاش في القرن السادس الهجري، أيضا هناك أبو زكرياء بن علي الزواوي (ت 611 هـ/ 1215م) كان عالما شديد الخوف من الله صواما قواما[27].

الفرع الثاني: المدرسة الغزالية

يعود الفضل في ظهورا أفكار هذه المدرسة الى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، في كل من قلعة بني حماد وتلمسان وبجاية وجزائر بني مزغنة أوائل القرن 6هـ،[28] عند اشتداد سلطة المرابطين بالمغرب الأقصى والأندلس وتتبعت كتاب الإحياء بالإحراق مما جعل البعض من المتصوفة والصالحين الاستقرار في بلاد المغرب الأوسط، التي كانت تحت حكم الحماديين وقد جمعت هذه المدرسة بين الحقيقة والشريعة .ومن أعمدة هذه المدرسة الذين ذكرهم التادلي في كتاب التشوف أبو الفضل بن محمد بن يوسف النحوي (ت 513هـ) الذي صاحب اللخمي ودرس كتاب الإحياء وكان عالما زاهدا انتصر للغزالي وقسم كتابه الى ثلاثين جزءا يدرسه كل أيام رمضان.[29]

الفرع الثالث: المدرسة المدينية

نسبة الى أبي مدين شعيب (ت 594 هـ/ 1198م) الذي اخذ من المدرسة العملية الجانب العملي ومجاهدة النفس ومن المدرسة الغزالية فكرة النزوع الى الكشف واكتساب العلوم الدينية كما استفاد من الأخبار الباطنية الأندلسية، تتلمذ على يد شيخه ابو يعزى يلنور (ت 672هـ/1176م)، دخل ابو مدين شعيب المغرب الاوسط من بجاية عهد الخليفة يعقوب المنصور (ت 580هـ) واستقر بها مدرسا وناشرا للتصوف السني، القائم على المجاهدة النفسية .[30]

المطلب الثاني: كرونولوجيا متصوفة المغرب الأوسط

يعد كتاب التشوف الذي ألف عام (617هـ/1220م)، من أهم المصادر التراثية التي استطاعت الكشف عن مناقب كثير من المتصوفة في المغرب، وما يهمنا في هذا المؤلف هو متصوفة المغرب الأوسط وهو موضوع بحثنا الذي عملنا على جردهم وفق القرون الهجرية تباعا ابتداء من القرن السادس الهجري الى غاية آخر المتصوفة في القرن السابع الهجري وقد أحصينا ثلاثة عشرة وليا متصوفا.

الفرع الأول: متصوفة القرن السادس الهجري (6هـ)

1. أبو محمد عبد السلام التونسي (ت 512 هـ/1118 م)

أصله من تونس صحب عمه عبد العزيز الى اغمات لما مات عمه نزل عائدا الى تلمسان التي بها توفي ودفن بالمكان المسمى العباد [31]وهي قرية تبعد قليلا عن تلمسان، عاش عالما زاهدا متقشفا يأكل الشعير إذا اشتهى اللحم يأكل لحم السلحفاة لا يخاف في الله لومة لائم من أهم كراماته مثلا أن احد الرجال كان على خلق ذميم فشكاه الناس لعبد السلام التونسي فلما لقاه رمى بثيابه الى الحائط وذكره بأذيته للناس فانكب الرجل الى رجليه وهو يقبلها ويقول لقد تبت الى الله حتى لقي ربه وهو زاهدا تائبا .[32]

2. أبو الفضل بن محمد بن يوسف النحوي (ت 513هـ)[33]

من كتاب التشوف وينحدر من مدينة توزر التونسية رحل الى فاس ثم سجلماسة واستقر في قلعة بني حماد صاحب اللخمي[34] وهو فقيه مالكي بالقيروان انتصر للإمام الغزالي صاحب الإحياء عند حرق كتابه حيث نسخ هذا الكتاب في ثلاثين جزءا كان يدرسها طيلة شهر رمضان، من أهم كراماته انه إذا دخل الصلاة لا يحس بمن حوله كان متقشفا يلبس الخشن واللين من الثياب، يذكر بن حرزهم أن أباه أوصاه بتقبيل يد أبو الفضل ولو رآه في اليوم مئة مرة. وانه ذات مرة بعثه أباه اليه ليدعو له فوجده يتوضأ فلما انتهى من الوضوء لاحظ أن إناءه كأن لم ينقص منه شيئا أيضا.

3. أبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي (ت 537هـ/1142 م)

وهو من أمراء صنهاجة ويعد تلميذ عبد السلام التونسي وكانت بداية ذلك ان طلب من عبد السلام التونسي أن يصبح أحد تلامذته فقال له لا تستطيع ذلك فأصر فأمره بداية بان يجمع حزمة خطب من الجبل ويدخل بها الى وسط القصر حتى يراه الجميع وتنزع منه تلك النخوة ففعل ذلك وشق القصر ودخل بها الى وسط البلد وباعها بدرهم ثم جاء الى عبد السلام وحكى له ذلك الفعل فقال له الآن استو هب منك الدعاء وكان

إذا جاءه أحد يريد الدعاء له يبعثه الى السلطان يوغان فانه عالم زاهد في الدنيا أما انا فعشت فقيرا وبقيت فقيرا، من أهم كراماته أن أهل تلمسان كانوا يستسقون به إذا قحطوا، ويذكر صاحب التشوف أن يوغان قد حلم بدنو أجله بان جاءه شيخه عبد السلام في المنام وذكره بأنه طالت هجرته وكان في الصحراء يرعى بناقته ورجع الى تلمسان فلم يلبث شهرين وتوفي بها ودفن بالعباد .

الطرق شتى وطرق الحق مفردة .... والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم ..... فهم على مهل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم ..... فجلهم عن سبيل الحق رقاد[35]

4. أبو عمرو عثمان بن علي بن الحسين (ت 542 هـ/1147 م)[36]

هو من أصل تلمساني نزل سجلماسة التي بها توفي ودفن في السنة المذكورة أعلاه كان من أهل العلم والزهد فمان يختم القران كل ليلة ومن أهم كراماته انه عندما كان ذاهبا الى سجلماسة ولم يبق له منها إلا مسيرة يوم واحدا جاءه هاتفا أن أدرك دفن والدتك إنها قد ماتت فجد السير فوصل الى الجنازة وصلى عليها وقبرها.

5. أبو الربيع بن عبد الرحمان بن المعز الصنهاجي (ت 579 هـ /1183 م)

عرف بالتلمساني كان زاهدا وعالما أصله من تلمسان لكنه عاش في عمل وثاقا أو موثقا بمنطقة سلا وبها توفي[37].

6. أبو إسحاق ابن يسول الإشبيلي [38]

لم يذكر التادلي تاريخ وفاته لكنه قال بأنه نزل يتلمسان وبها توفي ودفن، كان معلما للقران واخذ القراءات على يد الشيخ شريح الرعيني [39]،عاش زاهدا فقد كان يبيع حصير الحطب للصلاة ويشتري بثمنها شعيرا يقتات به وكان من أهل الصيام والقيام.

7. أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري (ت 594 هـ/ 1198م)[40]

أصله من حصن قطنياية من إشبيلية نزل بجاية ومات وهو في طريقه الى مراكش في منطقة يسر قرب تلمسان ودفن بمنطقة العباد القريبة من تلمسان، فكان عالما زاهدا عارفا بالله فقد خاض من بحارا ومن المعارف أسرارا خصوصا مقام التوكل، مبسوطا بالعلم كثير الالتفات بقلبه الى الله هذا ماذكر فيه أيوب بن عبد الله الفهري، سافر أبي مدين شعيب من الأندلس ممتطيا البحر الى طنجة ثم سبته ثم مراكش ثم فاس حيث تتلمذ على يد بن حرزهم وأبي يعزى يلنور، الذي قال فيه :انه سوف يكون له شأنا كبيرا ثم رجع الى بجاية وقد رافقه في رحلته هذه ابو علي بن حسن الغافقي طيلة الثلاثين سنة الى أن أدركه الموت، ويذكر أبا مدين شعيب أنه أخذ العلم عن ابن حرزهم واخذ عنه رعاية المحاسبي وسنن الترمذي على بن غالب وطريقة التصوف على أبى عبد الله الدقاق [41].

8. أبو عبد الله بن حسان التاونتي المعروف بابن الميلي (ت 590 هـ/1193م)

أصله من تاونت من أعمال تلمسان استقر به المقام في جبل لبنان وبه توفي عمل كاتبا لبعض كبراء الأندلس كانت بداية تصوفه عندما كان كاتبا عند احد كبراء تلمسان، وكان مسرفا في النوم حتى فاتته صلاة الفجر وأيقظته زوجته إليها فقال: دعيني أكمل نومي واستمر في النوم حتى جاءه رسول سيده يطلبه فنهض مسرعا فقالت له: زوجته سبحان الله دعاك داعي الله فلم تجبه و بادرت الى داعي المخلوق، فحز ذلك في نفسه وخر ساجدا باكيا وقال لها: اصرفي عني هذا الرسول ومن حينها نزل البحر ليعمل هناك حتى ظن أهله انه مات، رجع من حينها الى تاونت يتلمسان حيث أملاك أبيه وابتنى مسجدا هناك ثم رحل الى المشرق ثم الى مكة ومن أهم كراماته أنه يرى الأشياء دون أن يحضر مجلسها فمثلا يذكر عبدون بن وادفل انه ذات ليلة كان معه وخاف أن يبيت جائعا فطمأنه لذلك ومازالوا هكذا حتى قرع الباب وإذا بمملوكة بيدها الطعام والدجاج وقال لي كل فقلت له كل معي فقال أما انا فلا أكل فأكلت وحدي في الغداء جاء مولى المملوكة

وذكر سبب تأخره عنهم لكون المملوكة رفضت طبخ الطعام فضربتها عليه لهذا علم التاونتي أمر الضرب فرفض أكل ذلك الطعام[42].

الفرع الثاني: متصوفة القرن السابع الهجري (7 هـ)

1. أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي (ت 608هـ/ 1211م)[43]

أصله من تونس ثم انتقل الى مراكش وبعدها الى تلمسان، اين استقر به المقام درس العلم هناك حيث اعرض على الدنيا وأهلها وكان على سنن العلماء، وفي تلمسان وافته المنية ذكر عبد الرحمان بن محمد انه سمع أبا الطاهر يقول رأيت أبا المعالي في النوم فقلت له تكلم فيك الناس من اجل ما قلته في كتاب البرهان فقال لي يا بني من عرض عقله على الخلق لم يأمن من الخلق.

2. أبو زكرياء بن علي الزواوي (ت 611 هـ/ 1215م)[44].

وهو من قرية اميسون ويذكر صاحب الدراية الغبريني أنه من منطقة بني عيسى في قبائل زواوة، درس في قلعة بني حماد ثم رحل الى المشرق وقابل العلماء ثم عاد الى بجاية [45] كان عالما زاهدا شديد الخوف من الله،كان صواما فكان اذا دخل هلال رجب انقطع الى جبال رجراجة الى أن يخرج رمضان، وعند دنو اجله خرج يوما في الناس واعظا وقال لهم إني ذاهب عنكم فظنوا انه مسافر وذكر لهم سبب رحلته أنهم يرون المنكر ولا يغيرونه واخذ يعظهم الى أن بح صوته ومات يومها وكان يوم جمعة بعد صلاة العصر منتصف شهر رمضان، وكان كل كلامه دائما على النار وأهوال القيامة حتى أن أبا مدين شعيب طلب منه يوما أن يذكر الناس بالجنة ونعيمها وان يشوقهم إليها فقال له متى خرجنا من النار حتى نتحدث عن الجنة حتى سقط مغشيا عليه.

3.أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بابن الحباك (ت 613هـ/ 129 م)

أصيل تلمسان قدم مراكش ثم توجه الى مكة ومات غرقا في بحر المشرق كان صاحب مجاهدة للنفس زاهدا للدنيا متجردا منها كان مجلسه على الأرض دون حصير كما ذكر

ذلك علي بن احمد بن الصنهاجي أيام البرد الشديد، فكان مجاهدا للنفس حيث كان ينقل القمامة للناس مقابل رغيف خبز يتقاسمه مع الفقراء كانت جنازته بالعباد قرب تلمسان جنازة الفقراء[46].

4. أبو عبد الله محمد بن علي العمراني

لم يذكر تاريخ وفاته ولد بغماره نزل بفاس ثم يتلمسان ثم ذهب الى المشرق وانقطع خبره وكان من الأبدال وكان ابو الطاهر التونسي يقول إن العمراني أكبر شانا من أبي مدين شعيب.[47]

5. ابو عبد الله محمد بن موفق

أصله من بجاية قدم مراكش وبها توفي ودفن خارج باب ينتان، عاش غنيا ويذكر بن الخراز أنه كانت له دنيا عريضة وكان من أهل الرفاهية وكانت بداية زهده إن ذهب الى جبل اميسون بناء على رؤية في منامه أن هناك في الجبل ترى الشيوخ فذهب الى هناك ورأى الناس يمرون ويصعدون الى ذلك الجبل فاستحسن الأمر فزهد في حالته فانشد يقول.

خرجت من المنازل والقباب .... فلم يعسر على أحد طلابي
فمنزلتي الفضاء وسقف بيتي ...سماء الله او قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي .... علي ملما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب ..... يكون من السماء الى التراب[48]

خاتمـــــــــة

من خلال القراءة الرصينة لكتاب التشوف نلاحظ أن التادلي لم يقتصر في كتاباته على السرد التاريخي لتراجم الأولياء بل كان مدركا لما يكتب وعالما بأسرار التصوف وقيمة المادة المطروحة، هذا الأمر الذي استطعنا من خلاله أن ندرك اليسير من متصوفة بلاد المغرب

الإسلامي خاصة متصوفة المغرب الأوسط في مؤلف ابن الزيات وذلك بتتبعهم كرونولوجيا بداية من القرن السادس والسابع الهجريين وقد خلصنا الى النتائج التالية:

- استطاع التادلي إن يصل بنا الى اليسير من متصوفة المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى والمغرب الأوسط.
- توغل التادلي في كنه المادة الصوفية وتتبعها والتعريف بالولاية وأهلها وأهمية الولي وكراماتهم.
- لم يدرج التادلي إسهامات بعض الصوفية الذين عاصرهم أمثال القاضي عياض وغيرهم.
- من خلال تطلعنا الى هذا الكتاب استطاع بن الزيات أن يصل الى عمق المادة الصوفية وتتبع أهلها خاصة في بلاد المغرب الأوسط وتتبع طريقة تصوفهم وزهدهم وحلهم ترحالهم وشيوخهم ومدارسهم.
- أمثلة الإسناد التي طرحت في كتاب التشوف زادت من القيمة العلمية والإرثية لكتاب التشوف.

أخيرا استطاع كتاب التشوف الى أن يرتقي بقيمة الحركة الصوفية وعمل على نفض الغبار وإماطة اللثام على التصوف الحقيقي الروحي كما ذكر في مقدمة الكتاب لعل الله أن ينفع بهم وبتقواهم والتأسي بزهدهم.

الهوامش:

[1] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **التشوف الى رجال التصوف**، تح احمد التوفيق، منشورات كلية الرباط، ط2، سنة 1997م ص 18

[2] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه**، ص19.

[3] العباس بن ابراهيم السملالي، **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط2 المطبعة الملكية الرباط 1413هـ/1993م ج 10 ص 394.

[4] **ركراكة:** كانت تشمل منطقة واسعة بين دكالة وحاحا. ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ) المصدر **السابق** ص 24.

[5] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام الى العصر الحاضر**، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط 2، 1438هـ/2017م ص 363.

[6] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر السابق**، ص ص 20-25

7 مراكش: ويرجع تسمية المدينة الى المكان الذي أسست عليه والذي كان مأوى للصوص وتعني أمشي مسرعا، وقد حفر الناس فيه أبارهم ووقع اختيار هذا الموقع من قبل قبائل هيلانة وهزميرة، وسكان أغمات، حيث كان وادي نفيس جنانها وبلاد دكالة فدانها وزمام جبل دون بيد أميرها، ويعد يوسف بن تاشفين هو من وضع أساسها وحمل طينه وخطط بناءها. **أنضر**: جامد محمد خليفة، **يوسف بن تاشفين**، دار القلم دمشق، ط1، سنة 2003م، ص ص133-134.

[8] **حصن العقاب** (**609هـ/1212م**): هي المعركة التي هزم فيها المسلمون في الأندلس والتي تعرف بمعركة لاس ناقاس تولوزا، las nagas de tolosa، حيث يطلق هذا الاسم الآن على قرية صغيرة تدعى تولوزا، على سفح جبل الشارات، وجاء اسمها في المصادر العربية بمعركة العقاب بكسر العين نسبة الى مكان في الأندلس بين جيان وقلعة رياح، وتسمى بحصن العقاب لقربها من حصن سالم ووقعت هذه المعركة يوم الاثنين الخامس عشرة من شهر صفر سنة 609هـ، فكان الاسبان بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الثامن، والموحدون بقيادة السلطان محمد الناصر. **أنظر**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري (ت900هـ)، **الروض المعطار في خير الأقطار**، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، ط2، سنة 1980م، ص 416. أبي محمد عبد الواحد المراكشي (ت647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المكتبة العصرية بيروت، ط1، سنة 2006م، ص 235. أبن ابي زرع الفاسي(ت741هـ)، **الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة الرباط، ص238.

[9] **الأرك**: حصن منيع بمقربة من قلعة رياح، وهو أحد حصون النصارى بالأندلس، **أنظر**: الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 726هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار** تح إحسان عباس ط 2، مكتبة لبنان، بيروت 1984 م، ص27.

[10] الحسين إسكان **المالية الموحدية ضمن كتاب وقفات في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط مط النجاح الدار البيضاء 2001 ط 1 ص 82.

[11] ابو يعقوب يوسف بن يحرى التادلي (ت 617هـ)، **التشوف الى رجال التصوف المصدر السابق** ص ص 31، **انظر**: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت 261هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب العلمية لبنان، ط1 ،1991م، **صحيح مسلم كتاب الإمارة** حديث 177 ص1525

[12] **الولي**: من الجانب الصوفي يحمل معنيان أحدهما من يتولى الله سبحانه وتعالى رعايته، في قوله تعالى ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ **ٱللَّهُ ٱلَّذِے نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ **سورة الاعراف الآية 196** برواية ورش. فلا يكله الى نفسه لحظة، والثاني هو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، وحتى يكون الولي وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى، **أنظر**: ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري (ت 456هـ)، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تح، معروف مصطفى رزيق،ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت،1421هـ/2001م ص ص 259-260. البشير غانية، **الأولياء والمجتمع في المغرب**

الإسلامي عصري المرابطين والموحدين،(476–635هـ/1086–1238م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف محمد لمين بلغيث، جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعدالله، 2016م ص 91.

أما من الجانب الفقهي يعرف التصوف بأن اولياء الله، هم المؤمنون المتقون سواء سمي أحدهم، فقيرا او صوفيا او فقهيا أو عالما او تاجرا أو حاكما او جنديا او صانعا او أميرا او غير ذالك، **أنظر:** تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع **فتاوى شيخ الإسلام احمد بن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد قاسم وساعده ابنه، محمد، مج 11 د ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ/2004 م ص 275.

[13] قال الرسول صلى الله عبيه وسلم " **الا انبئكم بخياركم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال " خياركم الذين إذا رءوا، ذكر الله عز وجل**". **أنظر:** الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، (ت 275هـ)، **سنن بن ماجة**، تح محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة إحياء الكتب العربية، د ط، كتاب الزهد الباب 4 ص 1373.

[14] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **التشوف الى رجال التصوف المصدر السابق** ص ص 43-45.

[15] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، المصدر نفسه ص 46. **أنظر:** ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (ت 656 هـ)، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط1 ،2 2002 م كتاب الرقاق باب التواضع ص 1617.

[16] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ) **المصدر نفسه** ص 47، **أنظر:** صحيح مسلم، **المصدر السابق**، كتاب البر حديث 159 ص 2031.

[17] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر السابق** ص 47، **أنظر:** صحيح مسلم، **المصدر نفسه كتاب البر والصلة والآداب فضل الحب في الله** ص 2032.

[18] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 48.

[19] سنن بن ماجة **كتاب الزهد** باب 25.ص 1411.

[20] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 49.

[21] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص50، ي **أنظر:** صحيح البخاري كتاب الرقاق **المصدر السابق** باب 17 ص 1607

[22] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه 54**.

[23] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه**، ص 56.

[24] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه**، ص 83.

[25] عبد الرحمان بن خلدون (ت 808 هـ)، مقدمة **بن خلدون** تح خليل شحادة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 142هـ/2001 م ص ص 611- 615.

[26] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 110.

[27] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 498.

[28] الطاهر بونابي **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6/و7 الهجريين 12و 13 الميلاديين نشأته –تياراته–دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة 2004م، ص 116.

[29] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 95.

[30]ابو العباس الغبريني احمد بن احمد بن عبد الله (ت 644 هـ)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** تح، عادل نويهض، منشورات دار الفاق الجديدة، بيروت، ط 2، ابريل 1979 م ص ص 22-32.

[31] **العباد**: قرية بظاهر تلمسان ناحبة الجبل وبها دفن العديد من الصالحين ومنهم ابي مدين شعيب، العباس، أنظر: بن ابراهيم السملالي، **المصدر السابق** 10 ص 394.

[32] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 110.

[33] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر السابق** ص 95.

[34] **اللخمي**: هو علي بن محمد الربعي من فقهاء المالكية عاش في القيروان ومات في صفاقس سنة 478 هـ. **أنظر**: ابو العباس الغريني احمد بن احمد بن عبد الله (ت 644 هـ) **المصدر نفسه**، ص 101.

[35] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 123.

[36] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 140.

[37] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر السابق** ص 280.

[38] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 294.

[39] **شريح الرعيني**: هو شيخ المقرئين القاضي الاديب الخطيب الاشبيلي، يكنى ابا الحسن، (ت539 هـ) **أنظر**: **بن** بشكوال (ت578هـ) **الصلة**، تح ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط 1 1989م ج1 ص366.

[40] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 319.

[41] ابو العباس الغبريني احمد بن احمد بن عبد الله (ت 644 هـ **المصدر السابق** ص 22.

[42] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر انفسه** ص 368.

[43] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه ص** 406.

[44] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه ص** 428.

[45] ابو العباس الغبريني احمد بن احمد بن عبد الله (ت 644 هـ)، **المصدر السابق** ص 127.

[46] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 436.

[47] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه** ص 446.

[48] ابو يعقوب يوسف بن يحى التادلي (ت 617هـ)، **المصدر نفسه**،ص 429.